الحياة الطيّبة
السنة 28
العدد 56
شتاء 2024م
مرصد الحياة

أنماط التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم

الشيخ الدكتور لبنان حسين الزين[1]

مقدّمة:

تعدّدت أنماط التفسير الموضوعيّ في القرآن الكريم؛ تبعًا لتطوّر البحث فيه، ومقاربة الباحثين لهذه الطريقة في التفسير بمقاربات ونظرات بحثيّةٍ مختلفة؛ على مستوى النظر إلى الوحدة الموضوعيّة للقرآن، أو النظر إلى المصطلح القرآنيّ، أو النظر إلى بناء السورة القرآنيّة، ...، وإنْ كان النمط المُتداول والمُعتمد غالبًا في الأبحاث التفسيريّة؛ قديمًا وحديثًا، هو البحث في الموضوع الذي تشترك فيه مجموعة من الآيات، ومحاولة استخراج رؤية قرآنيّة فيه.

ومن هنا، فقد ظهرت أنماط جديدة، لم تكن معهودةً ومتداولةً في التفسير الموضوعيّ، اختلفت لجهة طبيعة موضوع البحث، ولجهة مجاله؛ بلحاظ البحث في القرآن كلّه أو بعض سوره، ولجهة الهدف من البحث، ومحوريّة البحث. وقد نظَّر لها بعض الباحثين والمفسّرين مؤخَّرًا، وبيّنوا خطواتها المنهجيّة، وبعض نماذجها التطبيقيّة[2].

(1) أستاذ في جامعة المصطفى ﷺ العالميّة، وكاتب وباحث في الدراسات الإسلاميّة والقرآنيّة، من لبنان.

(2) لمزيد من التفصيل في هذه الأنماط التفسيريّة وخطواتها المنهجيّة وبعض تطبيقاتها، انظر: مسلم، مدخل إلى التفسير الموضوعي، ص25-340؛ العيص، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص113-

والكلام في هذه الأنماط التفسيريّة؛ بلحاظ اختلاف طبيعة موضوع البحث ومجاله والهدف منه ومحوريّته، في الآتي:

أوَّلًا: البحث عن موضوع في القرآن الكريم:

وهو النمط المعهود والمتداول كثيرًا بين المفسّرين؛ قديمًا وحديثًا. ويقوم على اختيار الموضوع من واقع الحياة أو من القرآن، وجمع الآيات التي تشترك فيه، والمقارنة والموازنة في ما بينها، ثمّ استخراج رؤية قرآنيّة فيه.

وفي هذا النمط يبحث المفسِّر عن أجوبة لأسئلة وإشكاليّات متنوّعة مرتبطة بالموضوع؛ محاوِلًا الإحاطة بجميع جوانب الموضوع، ولا يكتفي بالبحث المفهوميّ أو الاصطلاحيّ له؛ كما هو حال البحث في التفسير الاصطلاحيّ الذي سيأتي ذِكره، كما لا يكتفي بمعالجة بعض الإشكاليّات الفرعيّة دون أخرى؛ كما في البحث في المقالة التفسيريّة على ما سيأتي بيانه.

ومن أمثلة البحث في هذا النمط التفسيريّ: «معرفة الله في القرآن»، «التوحيد في القرآن»، «النبوّة في القرآن»، «الإمامة في القرآن»، «المعاد في القرآن»، «الأخلاق في القرآن»، «التشريع في القرآن»، «الإنسان في القرآن»، ...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«الإنسان في القرآن الكريم» من تفسير الميزان للعلَّامة الطباطبائيقدس سره[1]:

565؛ توفيق علوان، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، ص282-799؛ علي آل موسى، التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم: قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي (سلسلة دروس)، ص227-699؛ عبد الفتّاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، ص59-335؛ عبد السلام اللوح، "وقفات مع نظريّة التفسير الموضوعيّ"، المجلد الثاني عشر، العدد الأوّل، ص65-69.

(1) هذا البحث الموضوعيّ مطروح في مواضع متفرّقة من تفسير الميزان، للاطّلاع، انظر: ج1، ص44-45، 47-51، 111-121، 301-309، 354-360، 364-382، 421-424؛ ج2، ص113-123، 192-195، 223-

تناول العلّامة الطباطبائي ﵀، في مواضع متفرّقة من تفسيره الميزان، موضوع الإنسان، وبحثه من جوانب متعدّدة؛ برؤيةٍ قرآنيّة؛ ويمكن إيجاز بحثه التفسيريّ في المطالب الآتية:

1. خلق الإنسان.
2. عمر النوع الإنسانيّ والإنسان الأوّل.
3 . انتهاء النسل الحاضر إلى آدم وزوجته.
4. روايات الطينة والماء في خلق الإنسان وعرضها على القرآن:
أ. اقتضاء الإنسان بأصل خِلقته للسعادة أو للشقاء.
ب. روايات خلق الإنسان صنفين (شقي وسعيد).
ج. خلق الإنسان من طينة عليّين أو من طينة سجّين.
د. خلق الإنسان من ماءٍ عذبٍ أو ماءٍ مالح.
هـ. التمييز بين الطيّب والخبيث في العَوْد.
5. خلق الإنسان من المادّة الأرضيّة.
6. حقيقة الإنسان:
أ. تركّب الإنسان من روح وبدن.
ب. انتقال الإنسان من نشأة إلى أخرى.
7. علاقة الإنسان بالعالم ونحو ارتباطه به:
أ. تقدير ارتباط الإنسان بغيره من الخلق.
ب. الشعور الحقيقيّ للإنسان وارتباطه بالأشياء.
ج. علوم الإنسان العمليّة.
د. جري الإنسان على استخدام غيره انتفاعًا.
هـ. الإنسان مدنيّ بالطبع.
و. حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان.
ز. رفع الاختلاف بين الناس بالدين.
ح. عَود الاختلاف ببغي بعض أتباع الدين.
ط. حياة الإنسان بعد الدنيا حياة انفراديّة.
8. تكريم الإنسان وتفضيله:
أ. المراد بالتكريم والتفضيل.
ب. وجه تفضيل الإنسان على الملائكة.

225، 247-250؛ ج3، ص29، 160-165؛ ج4، ص140-144؛ ج5، ص308-314؛ ج6، ص170-172، 178-194؛ ج7، ص124-129؛ ج8، ص10-14، 21، 95-109؛ ج10، ص51-53، 298-299، 309-310؛ ج11، ص155-164، 308، 341-342؛ ج13، ص53-57، 92-93، 156-159؛ ج14، ص285-286؛ ج15، ص7-9، 223-224؛ ج16، ص67-68، 178-179، 186-189، 255-261، 348-351؛ ج17، ص225، 379-382؛ ج18، ص93، 172-174، 192-194، 258-262، 289؛ ج19، ص188-189، 349-350؛ ج20، 32-33، 112، 121، 319-320.

وللاطّلاع على البحث مع شرح وتوضيح وتعليق وفهرسة مطالب من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ﵀، انظر: كتاب للمؤلّف، بعنوان "الإنسان في فكر العلامة الطباطبائي ﵀ -قضايا معاصرة-"، ط1، بيروت، مركز المعارف الإسلاميّة، 2024م.

9. استخلاف الإنسان:
أ. قصّة الخلافة في القرآن.
ب. خلافة الإنسان من منظار الروايات وعرضها على القرآن.
10. حمل الإنسان للأمانة الإلهيّة:
أ. المراد من الأمانة وعَرضها وحملها.
ب. الأمانة الإلهيّة في الروايات وعرضها على القرآن.
11. الفطرة:
أ. حقيقة الفطرة.
ب. خواصّ هداية الفطرة.
ج. هداية الفطرة إلى أصول الدين.
د. الفطرة في الروايات وعرضها على القرآن.
12. العقل:
أ. حقيقة العقل.
ب. إمكانيّة التعويل على المدركات العقليّة.
ج. العقل سبيل تحقّق الإنسان بالحكمة والإنابة.
د. تنمية العقل بالعلم والمعرفة.
هـ. حماية العقل وصيانته:
- من مفسدة الخمر.
- من اتّباع الهوى.
- من التقليد الأعمى.
- من العصبيّة المفرطة.
13. القلب.
14. الحسّ والتفكير.
15. العلم:
أ. ثبوت العلم للإنسان.
ب. الموجودات لديها نوع من العلم.
16. معرفة النفس والأنا:
أ. معنى النفس.
ب. تجرّد النفس.
ج. معرفة النفس.
د. أفعال النفس وارتياضاتها:
- حقيقة النفس.
- الاشتغال بمعرفة النفس.
- حالات الاشتغال بمعرفة النفس.
- معرفة النفس في الأمم السابقة.
- اشتغال النفس بشؤونها الباطنيّة بالرياضة والمجاهدة.
- معرفة النفس دعوة دينيّة.
- الكرامات وخوارق العادّة.
- طوائف المشتغلين بعرفان النفس.
- طوائف أهل العرفان.
17. اختيار الإنسان.
18. الإيمان والإسلام:
أ. معنى الإيمان.
ب. ازدياد الإيمان ونقصانه.
ج. معنى الإسلام.
د. مراتب الإسلام والإيمان.
هـ. الصلاح ومراتبه.
و. الإسلام والإيمان في السنّة الشريفة.
ز. تأثير الإيمان.
19. التقوى:

أ. علاقة القانون بالأخلاق والتقوى.
ب. حصول التقوى.
ج. كيف يُورث الحبّ الإخلاص؟
د. المُخلَص هو المعصوم.
20. علم الإنسان بالغيب.
21. الاعتقاد والعمل:
أ. علاقة العمل بالاعتقاد.
ب. ملازمة العمل للإنسان.
ج. ميزان الأعمال.
22. الأخلاق وتهذيب النفس:
أ. أصول المسائل الأخلاقيّة وفروعها.
ب. دعائم الأخلاق.
ج. مسالك إصلاح أخلاق النفس.
23. الحياة والموت:
أ. معنى الحياة والموت.
ب. فلسفة خلق الحياة والموت.

ثانيًا: البحث عن موضوع في سورة قرآنية:

لمّا كانت السورة القرآنيّة ذات مقصد تامّ في نفسه، منسجم مع مقاصد السور الأخرى، كان للمفسِّر أن يختار موضوعًا ورد في سورة من سور القرآن الكريم، ويبحث فيه في السورة نفسها؛ مبيّنًا خصائص الطرح القرآنيّ له في السورة. والمفسِّر في هذا النمط قد يستعين بسور أخرى ورد فيها هذا الموضوع، لكنّ هدفه في البحث هو بيان الرؤية القرآنيّة للموضوع من خلال هذه السورة بالذات.

وهذا النمط التفسيريّ أوسع بحثًا من نمط المقالة التفسيريّة الذي سيأتي بيانه، وأقلّ جهدًا على المفسِّر من بحث الموضوع في القرآن كلّه.

ويندرج ضمن هذا النمط بعض الموضوعات التي لم ترِد إلا في سورة واحدة؛ كـ«قصّة البقرة في سورة البقرة»، و«قصّة أصحاب الكهف في سورة الكهف»، و«قصّة ذو القرنين في سورة الكهف»، ...

ومن أمثلة البحث في هذا النمط التفسيريّ: «التوحيد في سورة الإخـلاص»، «الاستعاذة في سورة الفلق»، «القيم في سورة الكهف»، «الأخلاق في سورة الحجرات»، «الخمس في سورة الحشر»، «شهادة الأرض على الأعمال في سورة الزلزلة»، «عوامل النصر في سورة الأنفال»، ...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«المستحقّون للزكاة كما بيّنتهم سورة التوبة» من كتاب «التفسير الموضوعيّ التأصيل والتمثيل»[1] للدكتور زيد عمر العيص:

بحث الدكتور زيد عمر العيص موضوع «مستحقّي الزكاة» على ضوء «سورة التوبة»، في ما يرتبط بفرض الزكاة وحصر أصناف المستحقّين في:

1. المساكين.
2. الفقراء.
3. العاملون عليها.
4. المؤلَّفة قلوبهم.
5. الرقاب.
6. الغارمون.
7. في سبيل الله.
8. ابن السبيل.

وقد بيّن مفاهيم هذه الأصناف ومصاديقها من خلال القرآن، ووجوه الحكمة من هذا الفرض والحصر بهم؛ من توفير الأمن الغذائي، والتمهيد للأمن الاقتصادي، والحرص على الأمن الاجتماعي، وتحقيق أغراض تعود بالنفع على المجتمع، وحفظ الأمن العام.

ثالثًا: البحث عن الموضوع في مجموعة من سور القرآن الكريم:

وهو يقوم على اختيار المفسِّر مجموعة من السور، التي تشترك في ما بينها بموضوع ما، ورد في سياقات آياتها أو في مستهلّها ومفتتحها؛ بحيث

(1) العيص، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص379-513.

أَولَته عناية خاصّة، فيبحث فيها المفسِّر؛ مبيّنًا الرؤية القرآنيّة في الموضوع على ضوء ما تناولته تلك السور. وقد يستعين المفسِّر في بحثه هذا بما ورد عن الموضوع في سور أخرى، لكنّ هدفه هو استخراج الرؤية القرآنية في الموضوع من خلال تلك السور بالذات.

ومن أمثلة هذا النمط التفسيريّ: «الوحي في سور الحواميم السبعة»، «قصص الأنبياء في سور الطواسين الثلاثة»، «التسبيح في سور المسبِّحات»،...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«معارف القرآن من خلال الحواميم السبع»[1] لآية الله الشيخ عبدالله جوادي الآملي:

وهو عبارة عن سلسلة دروس قرآنيّة ألقاه آية الله الشيخ عبد الله جوادي الآملي؛ بنمط البحث الموضوعي في المعارف القرآنيّة التي تشترك فيها سور الحواميم السبع، والمضمون المشترك لهذه المعارف؛ وهو توضيح الخطوط العامّة للوحي؛ لجهة حقيقته، وضرورته، وكيفيّة نزوله، وآثاره، ونتائجه، وموقف الناس منه؛ قبولًا أو رفضًا، ودوافع القبول أو الرفض، وما يترتّب على كلّ منهما من حكم... والدروس هي:

1. أرضيّة تجلّي الوحي.
2. التقوى رمز نزول البركات والمعصية حجاب مستور.
3. العين والأذن واليد والأقدام شهود على الأفعال.
4. مشاهدة حضور الله أهم دافع للامتناع عن الذنوب.
5. الارتباط بمبدأ العزّة هو السرّ في عصمة الوحي.

(1) الآملي، معارف القرآن من خلال الحواميم السبع.

6. إحياء المجتمعات البشريّة عن طريق التفكير الصحيح.
7. العمل يرتبط بعامله فقط.
8. البرهان لازم لذات التوحيد واللابرهان لازم ذات الشرك.
9. حجاب الذنب عقوبة إلهيّة في الدنيا.
10. معنى الإضلال الإلهي.
11. موانع شهود الوجود المحض.
12. كفاية الله سبحانه في جميع حاجات العباد.
13. معرفة الله ظهير لمعرفة العالم ومعرفة الإنسان.
14. كيفيّة النزول الدفعي والتدريجي للقرآن.
15. الشدّة والرخاء امتحانان إلهيّان.
16. الردّ على منكري المعاد.
17. ترسيخ المعاد وبعض مشاهد القيامة.
18. دفن الروح في مقبرة الهوى أكبر مانع من قبول الوحي.
19. ما تشترك فيه الحواميم وما تمتاز به عن بعض.
20. القرآن كلام الله وتكلّم الله.

رابعًا: البحث عن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية:

يبحث فيه المفسِّر عن المقصد الأساس للسورة ومقاصدها الفرعيّة، والوحدة العضويّة الحاكمة على موضوعاتها المتعدّدة، والتناسب بين آياتها، وبين مفتتحها ومختتمها، والمعارف والتعاليم التي تتضمّنها، وبيان خصائص طرحها فيها، وكيفيّة تحقيقها لمقصدها الأساس ومقاصدها الفرعيّة.

وتجدر الإشارة إلى الفرق بين الوحدة الموضوعيّة للسورة والوحدة العضويّة لها؛ فالمراد بالوحدة العضويّة خصوص الترابط والتناغم بين الموضوعات المختلفة المطروحة داخل السورة، وأمّا الوحدة الموضوعيّة؛ فيراد منها وجود مقصد أساس للسورة، يشكِّل محورًا لتفاصيلها.

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«القيم في سورة الكهف»[1] للدكتور مصطفى مسلم:

بحث الدكتور مصطفى مسلم بحثًا موضوعيًّا في سورة الكهف بنمط الوحدة الموضوعيّة للسورة، ضمن نقاط؛ هي:

1. بين يدي السورة (اسمها وعدد آياتها/ خصائص سورة الكهف).
2. وقت نزولها وسببه.
3. أهداف سورة الكهف.
4. المناسبات في سورة الكهف (بين اسم السورة وموضوعاتها/بين افتتاحية السورة وخاتمتها/ بين مقاطع السورة وهدفها).
5. افتتاحيّة سورة الكهف.
6. المقطع الأوّل: قصّة الفتية المؤمنين.
7. المقطع الثاني: مفارقات وبواعث في مواقف العزّة.
8. المقطع الثالث: وقفة تأمّل في المآل والمصير.
9. المقطع الرابع: الرحلة في طلب العلم.
10. المقطع الخامس: قصّة ذي القرنين (الرجل الطوّاف).
11. خاتمة السورة.

(1) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص171-340.

خامسًا: البحث عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم:

ويبحث المفسِّر في هذا النمط عن المقصد الأساس للقرآن الكريم ومقاصده الفرعيّة، والوحدة العضويّة الحاكمة على القرآن، والتناسب بين سُوره وآياته، والمعارف والتعاليم التي يتضمّنها، ومنهجيّة طرحها فيه، وكيفيّة تحقيقها لمقصد القرآن الأساس ومقاصده الفرعيّة.

ومن نماذجه التطبيقيّة:

محوريّة الله في تفسير «معارف القرآن(10\10)» لآية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ﷺ.

بنى آية الله الشيخ اليزدي ﷺ بحثه التفسيريّ على مقصد «محوريّة الله»؛ بوصفه المقصد الأساس للقرآن الكريم، ومن ثمّ فرّع عليه المقاصد الفرعيّة الأخرى للقرآن الكريم؛ ضمن موسوعته التفسيريّة «معارف القرآن»، والتي عنونها تبعًا لمقصد القرآن الأساس وما يتفرّع عليه من مقاصد؛ وفق الآتي:

1. معرفة الله.
2. معرفة الكَوْن.
3. معرفة الإنسان.
4. معرفة السبيل.
5. معرفة الدليل.
6. معرفة القرآن.
7. الأَخلاق أو بناء الإنسان في القرآن.
8. المنهج العبادي في القرآن.
9. الأَحكام الفردية في القرآن.
10. الأَحكام الاجتماعية في القرآن.

سادسًا: البحث عن المصطلح القرآني:

يقوم البحث عن المصطلح القرآني على تتبّع مفردة وردت في القرآن الكريم في سياقات متعدّدة، والوقوف عند اشتقاقاتها وتصريفاتها ووضعها اللغوي، والمعاني التي استعملها القرآن الكريم فيها، ومقارنة بعضها ببعض، ومن ثمّ استخراج حقيقة قرآنيّة فيها، وربط المعنى اللغوي والمعاني الاستعماليّة بها، وكذلك ربطها بمصطلحات أخرى وردت في القرآن الكريم؛ بحيث تشكّل معها شبكة مفاهيميّة قرآنيّة مترابطة ومتماسكة.

وقد تقدّم في البحث عن تاريخ التفسير الموضوعي، اعتماد بعض الدراسات اللغويّة طريقة تتبّع استعمالات القرآن لمفردة من المفردات، ولكنّها تفتقد إلى منهجيّة البحث الموضوعي القائمة على المقارنة والموازنة بين موارد استعمال المفردة ومعانيها، والخروج منها باستنتاج المصطلح القرآني، وقياس علاقته بالمعنى اللغوي والمعاني الاستعماليّة في القرآن من جهة، وبالمصطلحات الأخرى الواردة في القرآن من جهة ثانية.

ومن أمثلة البحث في هذا النمط التفسيريّ: «مصطلح الفطرة في القرآن»، «مصطلح الحقّ في القرآن»، «مصطلح الوحي في القرآن»، «مصطلح الولاية في القرآن»، «مصطلح الإسلام»، «مصطلح الإيمان»، «مصطلح الكفر»، «مصطلح النفاق»، «مصطلح التقوى»، «مصطلح الصلاة في القرآن»، «مصطلح الجنّ في القرآن»، ...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«مصطلح الولاية» من معجم «التحقيق في كلمات القرآن الكريم» للعلامة الشيخ حسن المصطفوي:

بعد أن ينقل العلامة الشيخ حسن المصطفوي كلمات اللغويّين في

معاني هذه المفردة؛ وهي تدور مدار: القرب، النصرة، والحبّ، والمتابعة،... يقول: «والتحقيق أنّ الأصل الواحد في المادّة؛ هو: وقوع شيء وراء شيء، مع رابطة بينهما.

والوراء أعمّ من القدّام والخلف. كما أنّ الشيئين أعمّ من أن يكونا مختلفين وجودًا أو بلحاظ المحلّ والاعتبار. والرابطة أيضًا أعمّ من أن تكون حسنة أو سيّئة.

وأمّا مفاهيم القرب والحبّ والنصر والمتابعة، فمن آثار الأصل؛ باختلاف الموارد.

فمن مصاديقه: الولاية؛ بمعنى تدبير أمور الغير والقيام بكفاية جريان حياته ومعاشه، فإنّ الوليّ والمتولّي واقع وراء المتولَّى عليه، والرابطة بينهما تدبير الأمور والقيام به: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ا للهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1]. ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2] (...) ومن هذا المعنى : المولى، وهو في الأصل اسم مكان بمعنى محلّ الولاية؛ أي الَّذي فيه يتحقّق مفهوم التولية، فهو مصداق لظهور الولاية: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ ا للهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[3] (...) ويُطلق المولى أيضًا على المولَّى عليه؛ وهو الَّذى يكون متعلَّق التولية، وفي وراء الوليّ المدبِّر، والرابطة بينهما هي الولاية: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرايِى وَكانَتِ امْرَأَتِى عاقِرًا﴾[4] (...)

ومن مصاديق الأصل: مفهوم الأولويّة؛ وهو الأحرى والأجدر في جهة الوقوع وراء شيء مع وجود الرابطة: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه ُ وَهذَا النَّبِيُّ﴾[5] (...)

(1) سورة الأعراف، الآية 196.
(2) سورة المائدة، الآية 51.
(3) سورة الأنفال، الآية 40.
(4) سورة مريم، الآية 5.
(5) سورة آل عمران، الآية 68.

ومن مصاديق الأصل التولية: وهو إيقاع شيء في أمر هو وراء شيء سابق، فيقال : ولَّى وجهه عنه؛ أي أوقع وجهه في وراء ما كان فيه وحوّله عن مواجهته السابقة إلى جهة ورائها: ﴿فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾[1] (...)

ومن مصاديق الأصل التولّي: وهو اختيار الولاية؛ بأن يختار استقرارًا وراء المتولَّى عليه؛ حتّى يدبّر أموره: ﴿وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها﴾[2] (...)

ويستعمل التولّي؛ بمعنى الإدبار والإعراض، وهذا من لوازم الولاية، فإنّها تلازم التحوّل والانحراف عن موارد أخر، فالنظر في المقام إلى جهة الولاية والوقوع وراء شيء، ويفهم مفهوم الإعراض التزامًا؛ مضافًا إلى أنّ الإعراض أيضًا يكون من مصاديق الأصل، إذا كان بمعنى الوقوع فيما وراء الأمر الأوّل؛ أي الخروج عن البرنامج المعهود إلى ورائه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي﴾[3] (...)

فظهر أنّ الأصل الثابت في المادّة: هو الوقوع فيما وراء شيء؛ سواء كان بنظر التربية والتدبير؛ كما في مقام الولاية، أو بنظر الخلاف والعداوة والإعراض؛ كما في وقوع في محلّ في مقابل شيء، وفي جهة الإدبار منه. ويلاحظ في المعتِق والمعتَق والناصر والعمّ وابنه والحليف والعُصبة والصاحب والجار: الوقوع في ورائهم»[4].

سابعًا: البحث عن الأدوات التفسيريّة:

ويبحث فيه المفسِّر عن الحروف والروابط والأدوات التفسيريّة، ويتتبّع مواضعها في القرآن الكريم، والمعاني التي استعملها القرآن فيها، ويقارن

(1) سورة النمل، الآية 10.
(2) سورة البقرة، الآية 205.
(3) سورة الأعراف، الآية 79.
(4) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج13، ص202-208.

ويوازن فيما بينها، ويقاربها بالقضايا التي ربطت بينها؛ ليستخرج رؤية قرآنيّة فيها.

ومن أمثلة البحث في هذا النمط التفسيريّ: «البحث في رابط المعيّة في القرآن الكريم»، «البحث في رابط الظرفيّة في القرآن»، «البحث في رابط الاستعلاء في القرآن الكريم»، «البحث في رابط الترتيب في القرآن الكريم»، «البحث في رابط الابتداء في القرآن الكريم»، «البحث في رابط الانتهاء في القرآن الكريم»، «البحث في رابط العطف في القرآن الكريم.

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«المعيّة في ضوء القرآن الكريم» من كتاب «المدخل إلى التفسير الموضوعي» للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد[1]:

تناول الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أنموذجًا تطبيقيًّا للبحث في الأدوات التفسيريّة؛ وهو (المعيّة)؛ فبَحَثَها برؤية قرآنيّة في المطالب الآتية:

1. المعنى اللغوي.
2. ورود (مع) في القرآن الكريم.
3. الأنواع الجامعة للمعيّة في القرآن الكريم.

أ. معيّة الله تعالى لعباده:

- المعيّة العامّة.
- المعيّة الخاصّة.

ب. معيّة العباد لله تعالى: إبطال الشرك والشركاء:

- أسلوب النفي الصريح.
- أسلوب النهي الصريح.

(1) انظر: سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص125-158.

- أسلوب الاستفهام الإنكاري.
- أسلوب الخبر التهديدي.
- أسلوب الشرط.

ج. معيّة الناس لما حولهم من الأحياء والأشياء:

- معيّة الناس لغيرهم من الخلائق.
- معيّة الناس بعضهم لبعض.
- المعيّة بين الرسل والناس:
  - معيّة الرسل للناس:
    - معيّة التربّص والانتظار.
    - معيّة الصبر والالتزام.
    - معيّة الصحبة والمخالطة.
    - المعيّة الممنوعة المحرَّمة.
  - معيّة الناس للرسل:
    - معيّة في غير أمور الدين.
    - المعيّة الدينيّة.

4. تفصيل القرآن لهذه المعيّة (المعيّة الدينيّة):

أ. الطريق الإجمالي (من دون ذِكر اسم النبي).

ب. الطريق التفصيلي:

- معيّة نوح عليه السلام.
- معيّة هود عليه السلام.

- معيّة صالح عليه السلام.
- معيّة شعيب عليه السلام.
- معيّة إبراهيم عليه السلام.
- معيّة موسى عليه السلام وهارون عليه السلام.
- معيّة داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام.
- معيّة عيسى عليه السلام.
- معيّة محمّد صلى الله عليه وآله:
  - المعيّة المطلقة.
  - المعيّة الخاصّة.

ثامنًا: البحث عن الأساليب والصِيغ التعبيرية في القرآن الكريم:

يبحث فيه المفسّر عن استخدامات القرآن لأساليب وصِيَغ تعبيريّة متعدّدة، فيتتبّع مواضعها، ويقارن ويوازن في ما بينها، ليستخرج رؤية قرآنيّة فيها.

ومن أمثلة هذا النمط في البحث التفسيريّ: «الالتفات في القرآن الكريم»، «أسلوب المثل في القرآن»، «أسلوب القصص في القرآن»، «أسلوب الاستفهام في القرآن»، «أسلوب الشرط في القرآن»، «أسلوب الأمر في القرآن»، «أسلوب النهي في القرآن»، «أسلوب النداء في القرآن»، «صِيَغ المبالغة في القرآن»، «صِيَغ التفضيل في القرآن»، «صِيَغ التنكير في القرآن»، ...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«الحديث عن غير العاقل بأسلوب العاقل» [1] في القرآن الكريم للشيخ علي آل الشيخ:

(1) آل الشيخ، التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم، ص615-659.

بحث الشيخ علي آل الشيخ عن صِيغ تعبير القرآن الكريم عن غير العاقل بأسلوب العاقل، فبعد أن تعرّض القاعدة اللغويّة في الخطاب وصِيَغها اللفظيّة والمعنويّة، وأساليبها الأربعة في الحديث، بيّن خصائص حديث القرآن عن غير العاقل بأسلوب العاقل في نشآت: ما قبل الدنيا، وفي الدنيا، وما بعدها؛ في الآخرة؛ وفق الآتي:

1. لوحة ما قبل الدنيا.
2. لوحة الدنيا:

أ. عالم الإنسان.

ب. عالم الحيوان (النحل/ النمل/ الهدهد/ الدوابّ).

ج. عالم الجماد والطبيعة (السماوات والأرض/ الشمس/ الكواكب/ الأجرام السماويّة/ الأصنام/ نار إبراهيم/ الجدار/ الأشياء)

3. لوحة الآخرة:

أ. كلام الأرض.

ب. النار.

ج. أعضاء البدن وحواسّه.

تاسعًا: المقالة التفسيريّة:

وهذا النمط البحثي قريب من نمط البحث عن الموضوع في القرآن الكريم، غير أنّه ليس مثله بلحاظ بحث كلّ ما يرتبط بالموضوع من إشكاليّات، فهو يقتصر على بحث إشكاليّة فرعيّة أو أكثر من الموضوع دون غيرها.

وميزة البحث في هذا النمط أنّه متيسَّر للمفسِّر أكثر من بحثه للموضوع بكلّ إشكاليّاته؛ بلحاظ الجهد الأقلّ في تتبّعه للإشكاليّات

المختلفة للموضوع، وبلحاظ الوقت الأقلّ الذي يبذله في بحث إشكاليّة محدودة دون الإشكاليّات الأخرى. كما أنّه يسهم في تعميق البحث في إشكاليّات فرعيّة للموضوع، ما كان للمفسِّر أن يبحثها بدقّة وعمق لو كان منتهجًا نمط البحث في الموضوع بشكل عام.

ومن أمثلة البحث في هذا النمط التفسيريّ: «فطريّة الدين في القرآن الكريم»، «برهان النظم في القرآن الكريم»، «برهان التمانع في القرآن الكريم»، «دوافع الشرك في القرآن الكريم»، «التوحيد الأحديّ في القرآن الكريم»، «سنّة التدافع في القرآن الكريم»، «سنّة الاستخلاف في القرآن الكريم»، «دوافع إنكار المعاد في القرآن الكريم»، ...

ومن نماذجه التطبيقيّة:

«عوامل انتصار المسلمين في معركة بدر -قراءة في سورة الأنفال»[1]؛ للشيخ علي آل الشيخ في كتابه «التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم»:

حيث بحث الشيخ علي آل الشيخ هذا الموضوع بنمط المقالة التفسيريّة؛ وفق العناوين الآتية:

1. التأييد الإلهي (الإمداد الغيبي):

أ. النعاس.

ب. المطر.

ج. الملائكة.

د. تقليل المسلمين والكافرين.

هـ. الرعب (الحرب النفسيّة).

و. التراب.

(1) انظر: آل الشيخ، التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم، ص673-686.

2. طاعة القيادة.

3. المعنويّات المرتفعة.

4. عظمة الهدف والتطلّع.

5. الوحدة (تماسك الجبهة الداخليّة).

6. الكفاءة القتاليّة العالية:

أ. القدرة الاستطلاعيّة.

ب. الاستشارة والاستفادة من الخبرات القتاليّة.

ج. السيطرة على شريان القوّة.

د. تحديد موقع المعركة.

هذه أبرز الأنماط التفسيريّة التي ذكرها المفسّرون والباحثون في التفسير الموضوعي، وقد اختلفت مواقفهم منها:

- فمنهم من اقتصر على نمط الموضوع فقط، ونفى إدخال السورة ضمن أنماط التفسير الموضوعي[1].
- ومنهم من اقتصر على نمطين فقط؛ وهما: الموضوع القرآني، والسورة القرآنيّة[2].
- وأغلبهم عدّوا الأنماط الثلاثة (الموضوع، والسورة، والمصطلح أو المفردة) من التفسير الموضوعي[3].
- ومنهم من أضاف نمطًا رابعًا على ما تقدّم؛ وهو (الوحدة الموضوعيّة للقرآن)[4].

(1) انظر: سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص24-25.
(2) انظر: الكومي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص22-23.
(3) انظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص25.
(4) انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، المقدّمة، ص13؛ محمد تقي مصباح اليزدي، معارف القرآن، ج1، المقدّمة، ص15-20؛ اللوح، «وقفات مع نظريّة التفسير الموضوعيّ»، ص66.

- ومنهم من أضاف إلى الأنماط الثلاثة المتقدِّمة ثلاثة أنماط أخرى (موضوع في سورة، والأدوات التفسيريّة، والمقالة التفسيرية)[1].
- ومنهم من أضاف إلى ما تقدّم نمط الأساليب والصِيَغ[2].
- ومنهم من أضاف إلى ما تقدّم -أيضًا- نمط الموضوع في سور[3].

على سبيل الختم: تقويم الأنماط التفسيرية:

بالتأمّل في ما ذكره المفسّرون والباحثون في التفسير الموضوعي من أنماط بحثيّة، نجد أنّها تختلف -كما تقدّم ذِكره- بلحاظ اختلاف طبيعة موضوع البحث ومجاله والهدف منه ومحوريّته؛ فهي جميعها تدخل ضمن البحث الموضوعي مطلقًا؛ وتمتاز بلحاظ التقييد الداخل على الموضوع؛ لجهة طبيعته ومجال بحثه والهدف منه، ومحوريّة البحث.

وإذا ما أخذنا معيار محوريّة البحث (البحث عن موضوع/ البحث عن الوحدة الموضوعيّة)، نجد أنّ المفسِّر تارة يحدّد الموضوع ويبحث عنه في القرآن، وتارة يبحث في القرآن عن وحدة موضوعيّة. لذا، يمكن إرجاع الأنماط التسعة المتقدِّمة إلى نمطين أساسيّين؛ هما:

- **نمط البحث عن موضوع:** ويدخل ضمنه سبعة أنماط؛ هي:
  - **البحث عن الموضوع في القرآن كلّه:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع كون مجال البحث (القرآن كلّه)، والهدف منه (استخراج رؤية قرآنيّة في الموضوع بجميع إشكاليّاته).
  - **البحث عن المصطلح القرآني:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بطبيعة الموضوع (المصطلح القرآنيّ)،

(1) انظر: عمر، التفسير الموضوعي -التأصيل والتمثيل-، ص114.
(2) انظر: آل الشيخ، التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم، ص231-233، 615-659.
(3) انظر: الآملي، معارف القرآن على ضوء الحواميم السبعة.

والهدف من البحث (استخراج المصطلح القرآنيّ)، من دون بحث الموضوع وما يتفرّع عنه من إشكاليّات.

- **الموضوع في سورة:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بمجال البحث (وهو البحث في سورة واحدة).
- **الموضوع في مجموعة من السور:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بمجال البحث (وهو البحث في سور متعدّدة).
- **الأدوات التفسيريّة:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بطبيعة الموضوع (الأدوات والروابط)، والهدف من البحث (الوقوف عند استخدام القرآن للأدوات والروابط).
- **الأساليب والصِيَغ:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بطبيعة الموضوع (الأساليب والصِيَغ)، والهدف من البحث (الوقوف عند استخدام القرآن للأساليب والصِيَغ).
- **المقالة التفسيريّة:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الموضوع، مع تميّزه بطبيعة الموضوع (الموضوع بلحاظ تقيُّده بإشكاليّة فرعيّة أو أكثر)، والهدف من البحث (استخراج رؤية قرآنيّة في الموضوع المقيّد بالإشكاليّة)، من دون لحاظ بحث الموضوع وما يتفرّع عنه من إشكاليّات أخرى.

- **نمط البحث عن الوحدة الموضوعيّة:** ويدخل ضمنه نمطان؛ هما:

- **البحث عن الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الوحدة الموضوعيّة، ومجال البحث (القرآن الكريم كلّه).

- **البحث عن الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة:** بلحاظ كون البحث متمحورًا حول الوحدة الموضوعيّة، ومجال البحث (سورة من القرآن الكريم).

لكنّ إدراج هذه الأنماط المتقدّمة ضمن هذين النمطين، لا يعنى إلغاء الخصوصيّة البحثيّة لكلّ منها؛ فهي بمثابة الفروع من النمطين السابقين، وقد ظهرت بفعل تطوّر البحث التفسيريّ الموضوعي فيهما؛ ما اقتضى إفراد هذه الأنماط بالبحث النظريّ والتطبيقيّ من قِبَل المفسّرين؛ لخصوصيّة طريقة البحث في كلّ منها؛ وإنْ اشتركت مع غيرها في بعض الخطوات البحثيّة.